

· (٣) طبيعة الدرس

(الماهية / الاداة / الوظيفة)

وفى إطار هذا التحديد أيضا ، واستكمالا لجوانبه ، يجب على الدارس أن يحدد مفهومه لعدة جوانب يرتبط بعضها بماهية النص الذى يقدم على تحليله ، الأمر الذى يتبينه - بوضوح من واقع تحديده للنوع الأدبى الذى يندرج فى إطاره النص ، ونظرا لوضوح حدود الأنواع الأدبية على المستوى النقدي ، ومع تعدد لغة الحوار والدرس حول ملامحها الكبرى من خلال فن المسرح ، وفن القصة القصيرة ، والرواية ، والملحمة ، والسيرة والشعر ، ويحسن أن نظل - هنا - فى إطار العمل الشعري ، أو حتى النثري أى فى إطار آخر حول الأنواع الداخلية - إن جاز لنا هذا الوصف - إذا توقفنا عند تفاصيل النوع الواحد ، بمعنى أن محاولتنا قد تنصرف إلى التعرف على طبيعة الموضوع الشعري - مثلاً - إذ تركز فى باب المدح . أو غيره من الموضوعات التى رصدها نقدنا القديم للقصيدة العربية ، فإن كان مدحا فلا بد من تحديد طبيعته النوعية الضيقة أيضا ، كشفا عن أطر أنماطه المتباينة موزعة بين المدح المحترف المكتسب ، أو بين غيره من الاتجاهات التى يمكن تصنيفها عبر مدارس فنية متكاملة ، أو فى إطار المدح الحزبي الحماسي ، أو فى المدح السياسي ، أو الانصراف إلى باب السياسة أساساً ، أو ما يحمله بين ثناياه من بيانات عسكرية لها خطرها التاريخي ، أو تحوله إلى شعر حزبي بحث ، أو ما قد يعرضه من نظرية سياسية لحزب ما يدافع عنه ، أو استمراره فى إطار النموذج التقليدي سواء فى سياق فردى لشخصية بعينها هى شخصية الممدوح ، أو فى إطار جماعي يتناول التصفيق لنظام كامل ، أو الوقوف عند أسرة حاكمة على طريقة شعراء الخلافة الأموية - مثلاً - أو العباسية بعدها ، أو تحول المادح إلى تصوير تبعيته وانتمائه ، مما يبدو على درجة متميزة من الأهمية والخطر ، وهو ما يزداد عمقا مع تلك الكثرة الملموسة لشعر المديح فى شعرنا القديم .

ثم يرد للمدح أيضا ضروب أخرى خاصة فى إطار المدح البلاطى للخلفاء ، حتى أصبح معيارا لافرق منه لقياس فحولة الشاعر فى نقدنا القديم ، إذا ما تأملنا ما أصاب ذا الرمة - مثلاً - من ضيّر بسبب منه ، وكذلك كان ما أصاب جريرا حين نهره عبد الملك بسبب من مطلع مدحنه ، وهى الأحكام المنوطة بالخلفاء ومن حولهم من الحاشية ، أو تحوله إلى مدح